

تشير هذه الآيات إلى المعراج النبوي الشريف، والدليل على ذلك هو أن كل ما ورد فيها يتعلق بحادث المعراج. ويُستخلص من هذه الآيات ما يلي:

١- وصول النبي ﷺ إلى سدره المنتهى: فهناك رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد سجلها كل من هؤلاء المحدثين الستة في كتبهم: ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبزار، وأبو يعلى، والبيهقي. وقد ورد فيها أن النبي بعد أن وصل إلى السماء ليلة المعراج وقابل الأنبياء انتهى إلى السدرة. (الخصائص الكبرى ج ١ باب خصوصيته رضي الله عنه)

وهناك رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري قد نقلها كل من ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن العساکر، وتؤكد هذه الرواية ذهاب النبي ﷺ إلى السماء، ولقائه بالأنبياء هناك، ثم وصوله إلى سدره المنتهى. (المرجع السابق)

وفي رواية أخرى عن مالك ابن صعصعة: «ثم رُفعتُ إلى سدره المنتهى». (البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة؛ مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله؛ مسند أحمد: مسند الأنصار، وابن جرير) ثم هناك رواية في البخاري عن أبي ذرٍ تذكر ذهابه ﷺ إلى السماء ولقائه

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ

مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ



(بني إسرائيل)

من تفسير: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام



قول الرسول ﷺ إني لما وصلت إلى سدره المنتهى «قال الله لي: يا محمد». (المرجع السابق ص ١٥٥)

لقد ثبت بذلك أن الحادث الذي تشير إليه سورة النجم إنما هو حادث المعراج نفسه.

والآن أورد الأدلة على أن سورة النجم قد نزلت بعد السنة الخامسة من النبوة أو قبل ذلك بقليل. فهناك حادث شهير ذو صلة وثيقة بهذه السورة يحدد زمن نزولها بما لا يدع مجالاً للشك، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى أن اضطهاد الكفار المكيين لأصحابه قد بلغ المنتهى أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، حيث قال لهم مشيراً إلى جهة الغرب: هناك بلد لا يُظلم فيه أحد. فخرج بعض صحابته قاصدين الحبشة في شهر رجب من السنة الخامسة من النبوة، وكان فيهم سيدنا عثمان بزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ (الطبقات الكبرى: هجرة الحبشة). ولما علمت قريش بذلك خرجت على آثار الصحابة، ولكنهم ركبوا السفن قبل أن يدركهم الكافرون، وعبروا البحر إلى أرض الحبشة، وعاشوا هناك بأمان. ولما بلغ الكفار ذلك بعثوا إلى النجاشي ملك الحبشة وفدًا مكونًا من عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ليسألاه تسليم المسلمين اللاجئين

هذه الأحاديث، وإنما أريد التأكيد أن الأحاديث الواردة في وصف المعراج تذكر نفس المشاهد المذكورة في سورة النجم.

٥- رؤية النبي ﷺ البارئ تعالى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. وقد ورد هذا المعنى في روايات عديدة عن المعراج، حيث نقل ابن مردويه عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصف سدره المنتهى... فقلت: يا رسول الله، ما رأيتَ عندها؟ قال: رأيتُ عندها يعني ربّه.» (المرجع السابق ص ١٧٧).

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى *﴾: «رآه بفؤاده مرتين». (مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

٦- كلام الله تعالى مع النبي ﷺ عند سدره المنتهى كما هو ظاهر من قوله تعالى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، وهذا أيضًا مسجّل في أحاديث المعراج، فقد نقلنا آنفًا رواية عن أبي هريرة تقول إن النبي ﷺ لما بلغ سدره المنتهى «فكلمه الله تعالى عند ذلك» (الخصائص الكبرى ص ١٥٥). كذلك نقل ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك

الأنبياء، ووصوله إلى سدره المنتهى. (البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فُرِضَت الصلاة)

٢- غشيان شيء ما السدره حينذاك: وهذا أيضًا مسجّل في أحاديث المعراج. فقد ورد في الرواية المشار إليها أعلاه أن النبي ﷺ قال: «فَغَشِيَهَا نُوْرُ الْخَلْقِ ﷻ» (الخصائص الكبرى). كما ورد: «فلما غشيتها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها» (مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ).

٣- رؤية النبي ﷺ الجنة عند سدره المنتهى: وهذا أيضًا مذكور في أحاديث المعراج حيث ورد في رواية لأبي سعيد الخدري نقلها العديد من المحدثين أنه ﷺ قال: «ثم إني رُفِعْتُ إلى الجنة»، وذلك بعد لقائه بالأنبياء الآخرين. (الخصائص الكبرى ص ١٦٥).

٤- برؤية هذه المشاهد طرأت على النبي ﷺ حالة وصفها الله بقوله ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾. وروايات المعراج تؤكد هذا الأمر أيضًا، فورد في رواية أبي سعيد الخدري المذكورة أعلاه أن النبي ﷺ قال: بعد وصولي إلى سدره المنتهى «كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى». (المرجع السابق ص ١٦٩) علمًا أنني لست هنا بصدد شرح



بحثي يؤكد أن ما حدث في الحقيقة هو أن الكفار لما يتسوا من استرداد المسلمين المهاجرين من الحبشة أشاعوا في أرض الحبشة كذباً أن أهل مكة قد أسلموا جميعاً، وذلك ليعود المهاجرون . فلما عاد المسلمون المهاجرون خاف الكفار أن المهاجرين إذا اقتربوا من مكة وعرفوا كذب الخبر فرما يعودون على أدراجهم إلى الحبشة، فلجأوا إلى مكيدة أخرى وبعد أن حقق الكفار غرضهم هذا قالوا لأتباعهم كذباً وتخفيفاً من العار الذي لحقهم : لقد سجدنا مع محمد لأنه أتني على أهتنا .

للمكيين، ولكن الملك رفض طلبهم، فرجع الوفد خائباً خاسراً. ثم بعد ذلك جاء النبي ﷺ ذات يوم في نادي الكفار وقرأ عليهم سورة النجم، وفيها أمرٌ بالسجود، ولما سجد النبي ﷺ سجدوا معه الكفار كلهم، فأشيع بين الناس أن أهل مكة كلهم، أو أعيانها على الأقل، قد أسلموا. وقال الكفار فيما بعد تبريراً لسجودهم أن محمداً كان مدح آلهتهم أثناء قراءته سورة النجم، فسجدوا معه. وقد قال بعض المفسرين بأن الشيطان هو الذي قال هذه الكلمات في مدح آلهة الكفار، وليس الرسول ﷺ. ولكن بحثي يؤكد أن ما حدث في الحقيقة هو أن الكفار لما يتسوا من استرداد المسلمين المهاجرين من الحبشة أشاعوا في أرض الحبشة كذباً أن أهل مكة قد أسلموا جميعاً، وذلك ليعود المهاجرون. فلما عاد المسلمون المهاجرون خاف الكفار أن المهاجرين إذا اقتربوا من مكة وعرفوا كذب الخبر فرما يعودون على أدراجهم إلى مكيدة أخرى حيث أتوا النبي ﷺ وطلبوا إليه أن يُسمعهم القرآن الكريم، ثم سجدوا معه أثناء التلاوة، لكي يشيع خبر سجدتهم بين الناس، فيسمعه المسلمون المهاجرون فلا يعودوا إلى مهجرهم. وبعد أن حقق الكفار غرضهم هذا قالوا لأتباعهم كذباً وتخفيفاً من العار الذي لحقهم: لقد سجدنا مع محمد لأنه أتني على أهتنا. هذا هو تعليقي باختصار على حادث السجود، ولكننا لسنا في صدد نقاشه الآن، وإنما محله في تفسير سورة الحج وسورة النجم إن شاء الله تعالى. وأعود الآن إلى ما كنت بصده فأقول: إنه لم يمض على هجرة هؤلاء المسلمين إلى الحبشة ثلاثة أشهر حتى سمعوا خبر إسلام المكيين، فعاد بعضهم إلى مكة

(المرجع السابق). وقد سجلت كتب التاريخ والحديث كلها هذا الحادث، مما يشكل دليلاً قاطعاً على أن سورة النجم قد نزلت قبل شهر شوال من السنة الخامسة النبوية، وبما أن حادث المعراج مسجل في هذه السورة فثبت أن المعراج أيضاً كان قد وقع قبل شوال من السنة الخامسة النبوية. أما الآن فأعود إلى حادث الإسراء المذكور في هذه السورة التي نحن بصدد تفسيرها. لقد ورد في التاريخ أن الإسراء وقع في ربيع الأول أو الثاني أو رجب أو شعبان من السنة الحادية عشرة النبوية (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: وقت الإسراء). أما المستشرقون المسيحيون فأيضاً يعترفون أن الإسراء وقع في السنة الثانية عشرة النبوية. (حياة محمد للسير ولیم ميور ص ١٢٥) كما أن روايات كتب الحديث أيضاً



السنة الخامسة النبوية. فما دام الحادثان تفصلهما فترة زمنية لا تقل عن ست أو سبع سنوات فكيف يمكن اعتبارهما حادثًا واحدًا؟ إذن فإن المعراج غير الإسراء الذي زار فيه النبي ﷺ بيت المقدس.

وبالإضافة إلى الشواهد التاريخية هناك أمر آخر يؤيد استنتاجي هذا، وهو أن الروايات تؤكد أن الصلوات قد فُرضت في المعراج. فلو ظننا أن المعراج والإسراء حادث واحد لاضطررنا إلى القول أن الصلوات الخمس لم تُفرض إلا بعد السنة الحادية أو الثانية عشرة من البعثة، وهو قول باطل بالبداهة، لأنها فُرضت في أوائل البعثة، وذلك بحسب إجماع المسلمين كافةً (البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلاة في الإسراء). فثبت من ذلك أيضًا أن المعراج تم في أوائل البعثة، بينما وقع الإسراء في السنة الحادية أو الثانية عشرة بعد البعثة.

في السنة العاشرة (الطبقات الكبرى لابن سعد: ذكر حصر قريش رسول الله ﷺ وبني هاشم في الشعب) - هناك شاهد واحد للإسراء وهو أم هانئ بنت عم النبي أبي طالب، فهي تقول: لقد بات النبي ﷺ في بيتها ليلة أُسريَ به. وقد وثق قولها هذا كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (الخصائص الكبرى ص ١٧٧). والبديهي أن النبي ﷺ ما كان ليبيت في بيت أم هانئ في حياة خديجة أو حياة أبي طالب، مما يعني أن حادث الإسراء حصل بعد وفاة خديجة وأبي طالب. ويخبرنا التاريخ أنهما توفيا بعد السنة العاشرة النبوية (السيرة النبوية لابن هشام: وفاة أبي طالب). فهذه شهادة تاريخية أخرى على صحة رأيي؟

فخلاصة الكلام أن التاريخ والحديث والعقل كل أولئك تؤكد أن حادث الإسراء قد وقع بعد السنة الحادية أو الثانية عشرة النبوية. وأما حادث المعراج فقد أثبت قبل قليل أنه حصل بعد

تحدد حادث الإسراء في زمن قريب من ذلك، حيث أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أُسريَ بالنبي ﷺ ليلة سبَعِ عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة» (الخصائص الكبرى ص ١٦١). كما أخرج البيهقي عن ابن شهاب قال: أُسريَ بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة (المرجع السابق ص ١٦٢). وأيضًا أخرج البيهقي عن السدي أنه أُسريَ بالنبي ﷺ قبل مُهاجره بجوالي ستة أشهر. كما نقل ابن سعد عن أم سلمة أن حادث الإسراء وقع قبل الهجرة بسنة في السابعة عشرة من شهر ربيع الأول. إذن فكل هذه الروايات تجزم بأن الإسراء وقع قبل الهجرة بستة أشهر أو سنة.

وهناك دليل آخر على وقوع الإسراء بعد خروج النبي ﷺ من شعب أبي طالب - علمًا أن الكافرين حاصروا النبي ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب في السنة السابعة، ورفعوا هذا الحصار

فخلاصة الكلام أن التاريخ والحديث والعقل كل أولئك تؤكد أن حادث الإسراء قد وقع بعد السنة الحادية أو الثانية عشرة النبوية. وأما حادث المعراج فقد أثبت قبل قليل أنه حصل بعد السنة الخامسة النبوية. فما دام الحادثان تفصلهما فترة زمنية لا تقل عن ست أو سبع سنوات فكيف يمكن اعتبارهما حادثًا واحدًا؟ إذن فإن المعراج غير الإسراء الذي زار فيه النبي ﷺ بيت المقدس.